الباب الثامن

في مراتب الدرس الخمس

تنسب نظرية تقسيم الدرس خمس مراتب لـ "هربرت" ، لأنه واضعها وإن سار عليها بعض المدرسين من قبله. وقبل الكلام فيها نذكر كلمة في طريق إكتساب المعارف الجديدة فتقول:

إن المعارف الجديدة يدركها العقل ويفهمها بمساعدة المعارف القديمة التي لها بها صلة وإرتباط؛ فالتجارب القديمة تترك في النفس أثرًا يساعد على إدراك التجارب الجديدة التي من نوعها. ولكن مورد هذا الأثر لا يكفي لأن تفهم التجارب الحديثة فهمًا حقيقيًا، لأنها تكون أجزاء صغيرة من المعارف مفككة مبعثرة منعزلة، فالتجارب لا تفيدنا إلا إذا كانت مبنية على القديم من التجارب، ثم أتبعت بالتفكير الضروري، وفرت على مقتضى النظريات السائدة التي إستنبطها الإنسان بعد البحث والتفكير، أو أخذها من غير موسلم بها، أو وصل إليها بعد أن فكر في آراء غيره ونظرياته.

والظواهر التي يدركها العقل ويشاهدها بالحواس واحدة لا تتغير ولكن النظريات التي تفسرها قد تتناقض، ومثال ذلك المجموعة الشمسية فإن ظواهرها واحدة لكنها قديمًا فسرت على مقتضى المذهب القديم القائل «بأن الشمس تتحرك حول الأرض». أما الان فقد محصت هذه النظرية

تمحيصًا دقيقًا وظهر عدم صحتها فنقضت وحل محلها حقيقة أخرى هي التي تقول «بأن الأرض تتحرك حول الشمس» وعلى مقتضاها فسرت ظواهر المجموعة الشمسية تفسيرًا يقبله العقل، وأستنبطت القوانين المختلفة الخاصة بحركات الكواكب وغيرها.

وبهذه الطريقة تنمو المعلومات، وتتسع، ويمكن إستعمالها والإنتفاع بها في جميع المسائل الجديدة التي تعرض على العقل وتمر بالذهن.

ويمكن حال طريقة إكتساب المعلومات إلى عناصر أربعة هي:

(١) عمل المعلومات القديمة والتجارب السابقة من المساعدة على فهم التجارب الجديدة.

(٢) عمال التجارب الجديدة؛ وهو إمدادنا بالمواد اللازمة لنمو معلوماتنا وإتساعها.

(٣) حل التجارب ويشمل الموازنة بين حالة وأخرى ليتوصل إلى إستنباط الحكم العام، ثم إلى تكوين النظريات.

(٤) استعمال ما وصلنا إليه من النظريات والأحكام العامة في توضيح حقائق جديدة.

وعلى هذا التحليل بنى هربرت نظرية تقسيم الدرس مراتب خمسًا هي:

(١) **المقدمة:**

أسم هذه المرتبة يدل على ما ينبغي أن تحتوي عليه، فيجب أن يعد

المدرس عقل التلميذ لما هو شارع في تدريسه، لأننا نعلم أنه إذا عرضت علينا المعارف من غير أن يمهد لها الطريق، أستغرقت مدة طويلة قبل أن تفهم وهذا أعظم وأشد عند الأطفال، فينبغي أن يوقظ المدرس من معارف تلاميذه ما له علاقة وإرتباط بموضوع درسه، أو ببعضه على الأقل؛ ليساعدهم على فهم المعارف الجديدة ويكون هذا بعدة طرق:

منها طرح بعض أسئلة عليهم تحصر أفكارهم فيما له شبه علاقة بالدرس، ثم تخصص الأسئلة حتى تصل إلى موضوع الدرس، ومن الطرق عرض صورة شيء، أو رسمه على السبورة، أو عرض الشيء نفسه، غير أنه لابد من مراعاة أن كل هذه الأشياء ينبغي أن تكون مقصورة على موضوع الدرس، وإلا تشتتت أفكار التلاميذ وشمل شوقهم غير اللازم للدرس؛ فالمصور المحتوي على صور كثيرة لا يصح أن يكون مقدمة لدرس على إحدى هذه الصور، وينبغي ألا تستغرق المقدمة أكثر من خمس دقائق بحال.

هذا ويختلف السير في المقدمة سهوله وصعوبة بإختلاف معرفة المدرس بأحوال المتعلمين ومقدار معلوماتهم. فمدرس الفصل يسهل عليه الإتيان بمقدمة تناسب عقولهم ومعارفهم، أما المعلم الذي يريد تعليم فصل جديد، فإنه قد يصرف جزءًا كبيرًا من الزمن في البحث عما يعرفه التلاميذ حتى يبني عليه ما يريد إيصاله لهم، وربما كان ذلك متعذرًا.

وتختلف أيضًا مادة المقدمة بإختلاف منزلة الدرس الجديد مما سبقه من الدروس، فإذا أرتبط بها تمام الإرتباط إكتفي المدرس بطرح أسئلة كما

تقدم لإستحضار ما ألقي في سابق الدروس من الحقائق التي يبنى عليها الدرس الحديث، أما إذا كان الدرس فاتحة سلسلة دروس ولا علاقة له بما قبله بحث المعلم عن معلومات التلاميذ العامة ليستحضر منها ما يصلح أن يكون أساسًا لتلك الحقائق الجديدة التي يحاول إيصالها لهم.

فوائد المقدمة

(أ) إنها تجمع شوارد أفكار التلاميذ وتحصرها في موضوع الدرس الجديد.

(ب) بها يقف التلاميذ على قصور معلوماتهم في موضوع الدرس.

(ج) إنها تشوقهم إلى موضوع الدرس الجديد.

(٢) العرض

هذه المرتبة هي أهم مراتب الدرس إذ فيها تعرض المادة الجديدة التي يريد المدرس تعليمها للتلاميذ، وبمساءلتهم يمكنه أن يصل بهم إلى إستنباط بعض العناصر، بيد أنه إذا كان التلميذ خالي الذهن جملة من مادة موضوع الدرس أصبح ذلك مستحيلًا عليه؛ ولهذا كان من الضروري في بعض الأحيان أن يلقي المدرس على التلاميذ كل الحقائق المشتمل عليها الدرس إلقاء.

ويعتقد بعض المدرسين أن أهمية هذه المرتبة تنحصر في إيصال المعارف إلى ذهن التلاميذ، ولكن هذا ليس بصحيح، فلا بد مع هذا أن يتثبت المدرس من فهم التلاميذ إياها، وهذا يتسنى بإتقان تدريس كل مسألة، وبالتطبيق أو الإختبار فيما ألقاه.

(٣) الربط:

هذه المرتبة من أهم مراتب الدرس، فلا يفيد كون المقدمة شائعة ولا كون العرض مؤثرًا، إلا إذا أرتبطت حقائق الدرس بغيرها مما يماثلها أو يضادها من معارف التلاميذ القديمة ، ومن فوائد الربط:

(أ) المساعدة على الفهم

(ب) تثبيت المعلومات

(ج) سرعة التذكر؛ فإذا ربطت حقيقة بأخرى فحضور إحداهما في الذاكرة يستدعس الأخرى.

(٤) الإستنباط

وهو استنباط القواعد والتعاريف من الأمثلة أو الصور أو النماذج ونحوها مما عرض على التلاميذ في أثناء المراتب الثلاث السابقة، ويجب أن يكون محققًا للغرض ومطابقًا له، كما يجب ألا يستغرق أكثر من بضع دقائق، وكذا ينبغي ألا يطلب المعلم من التلاميذ أن يستنبطوا إلا إذا قدم لهم من الأمثلة ونحوها ما يكفي للإستنباط.

(٥) التطبيق

إن التطبيق هو البرهان الساطع على الفهم، فلا يمكن أن يقال إن التلميذ فهم قاعدة في علم الحساب مثلًا إلا إذا أمكنه حل كثير من المسائل المختلفة على هذه القاعدة. والتطبيق يساعد أيضًا على تثبيت المعلومات في الذهن، وطرقه كثيرة: منها التمرينات الشفوية والتحريرية،

والعمليات التي تقوم بها التلاميذ بعد درس قاعدة هندسية أو نحوها، وقد تكون هذه المرتبة عبارة عن إعادة حقائق المدرس بطريق المساءلة في مثل دروس التاريخ والجغرافيا ونحوهما.

وكل درس يعطى بطريقة هربارت يعتبر كلا مركبًا من أجزاء هي مراتبه الخمس، وكل مرتبة لها عمل خاص يتوقف عليه وعلى أعمال باقي المراتب تحقيق الغرض العام من الدرس؛ كما يقوم كل عضو من أعضاء الجسم بعمله الخاص به ليحفظ توازن الجسم وتتوافر الصحة وتتم سعادة الإنسان.

وعلى ذلك يجب أن يكون كل سؤال في الدرس وكل مسألة من مسائله جزءًا من الدرس، فلا يسأل سؤال، أو تذكر حقيقة لغرض قتل الوقت، أو مجرد ذكر معارف قديمة سواء أكان لها صلة بموضوع الدرس أم لم يكن.

وكما أن الدرس الواحد يعتبر كلا مركبًا من مسائله المختلفة. فهو كذلك يعد جزءًا يتركب منه ومن غيره مجموعة تنتمي إلى علم واحد، كما أن العلم الواحد جزء من مجموع العلوم المختلفة، فالمبتدأ مثلًا من الأجزاء التي يتألف منها علم قواعد اللغة، والقسمة من أجزاء علم الحساب وهكذا.

وعمل المدرس ينحصر في ترتيب موضوعات العلم ترتيبًا منطقيًا بحيث يتكون منها سلسلة متصلة الحلقات، وفي السير بالتلميذ خطوة خطوة حتى يتفهم العلم ويقف على أسراره.

ويجب في التعليم الابتدائي السير على طريقة هربارت في الدروس التي

يقصد منها كسب المعارف؛ وذلك لأنها هي الطريق الطبيعي لكسب المعارف الجديدة كما تقدم.

دروس كسب المعارف ودروس كسب المهارة

الأعمال المدرسية قسمان:

(١) أعمال علمية تشتغل فيها القوى العقلية.

(١) أعمال ترويحية بقصد منها إراحة المخ من عناء الأعمال التي قام فيها العقل ببذل مجهود أتعبه؛ وهي الأعمال البدنية من حركات وألعاب فردية وجمعية، ورياضة بدنية، ونحوها.

وتنقسم الأعمال العلمية قسمين: علومًا وفنونًا.

فالعلوم هي المواد التي يقصد منها تعليم التلاميذ شيئًا يجهلونه من حقيقة أو نظرية أو قاعدة أو نحوها. والعمل فيها للأعصاب الموردة أو أعصاب الحس. وتنقسم أقسامًا ثلاثة هي:

(١) مواد أساسها النقل وتبحث في حياة الإنسان في الماضي والحال؛ وتشمل التاريخ، والأدب الذي هو مستودع أفكار الإنسان، والشرائع، والجغرافيا الخاصة بحياة الإنسان فوق البسيطة. وتسمى هذه بالعلوم الإنسانية.

(٢) المواد الكونية المبنية على الحس والمشاهدة، كالطبيعة، والكيمياء، والتاريخ الطبعي، وعلوم عمل الأعضاء، والنبات، والحيوان، وطبقات الأرض، والجغرافيا الطبعية ونحوها وتسمى العلوم الطبعية.

(٣) مواد متعددة ترتبط بالإنسان من جهة، لأنها نتيجة تفكيره وتأمله، وبالكون من جهة أخرى، وتشمل العلوم الرياضية وقواعد اللغة، والفلسفة، وعلم النفس، والأخلاق، والمنطق، والعلوم الإجتماعية.

أما الفنون فهي المواد التي ترمي إلى تعليم التلاميذ طريقة عمل شيء من الأشياء، وكسبهم العادة التي تسهل لهم القيام بعمله، وذلك كاللغة، والموسيقى، والرسم، والتصوير، وعمل النماذج، والاشغال اليدوية، كالنجارة، والحدادة، والطبخ، وأشغال الإبرة، وغيرها. والعمل هنا للأعصاب المصدرة أو أعصاب الحركة.

والعلوم والفنون يرتبط بعضها ببعض تمام الإرتباط، ويعتمد بعضها على بعض؛ فالعالم يزيد علمه بالتطبيق، والفنان تزداد مهارته بالمعارف. وبعض المواد يعتبر علمًا وفنًا من جهتين مختلفين كالرياضة فهي نظرية وعملية، وكذا اللغات وغيرها.

وإذ أن غاية العلوم كسب المعارف، وغاية الفنون كسب المهارة في إتقان الأعمال، فجميع الدروس التي تلقى في أي علم من العلوم هي دروس كسب معارف. وكل الدروس التي تلقى في فن من الفنون هي دروس كسب مهارة.

ويشمل درس كسب المعارف خمس المراتب المنسوبة لهربارت وهي المقدمة والعرض والربط والإستنباط والتطبيق أو الإعادة.

أما دروس كسب المهارة فأساسها المحاكاة فهي تؤدي إلى تكوين العادات التي بها يكون الطالب قادرًا على محاكاة ما يراد منه عمله ويشمل

الدرس مراتب أربعًا هي:

(١) المقدمة

(٢) العرض ويشمل التفكير والمحاكاة سواء أكان النموذج حاضرًا وهو الغالب أم غير حاضر كالرسم من الذاكرة.

(٣) الموازنة بين ما عمله التلميذ وبين ما يحاكيه، وفهم القواعد التي بني عليها العمل.

(٤) التمرين ويكون بكثرة التكرار.

وهذا وقد يكون الغرض من دروس العلوم تثبيت المعارف القديمة ويسمى الدرس حينئذ درس مراجعة، وهذه الدروس ضرورية جدًا، وذلك لأنه ثبت في علم النفس أن إعادة الحقيقة مرارًا يساعد قوة الذكر. فإذا صرف المعلم بضع دقائق في آخر كل درس لإعادة عناصره الصعبة سهل على تلاميذه تذكرها.

ومن الضروري بعد عدة دروس أن تعطي دروس لمراجعة ما تلقاه التلاميذ. وقد تكون هذه الدروس تطبيقًا على ما سلف من القواعد والحقائق أو اختبارًا فيها أو شرحًا للمسائل الصعبة. ومراجعة لها على حسب الأحوال ، وينبغي في دروس الإملاء والإنشاء أن تجمع الغلطات العامة التي وقعت من التلاميذ في أثناء فترة معينة كأسبوع أو شهر مثلًا، ثم تعرض عليهم في نهايتها لمراجعتها ويحسن إدخالها في الدروس الجديدة ليثبت صوابها في أذهان التلاميذ بتأثير التكرار.